

1

الباب الأول

اتجاهات نظرية في النمو الانساني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾

سورة ص



الفصل الأول

مدخل إلى النمو الإنساني

الفصل الأول

1 : الأهداف:

بعد قراءتك لمحتوى هذا الفصل قراءة دقيقة واعية، فإنه يتوقع أن تكون قادراً على استيعاب كل من:

- موضوع علم نفس النمو .
- أهداف البحث في علم نفس النمو .
- أهمية البحث في علم نفس النمو .
- النمو الإنساني في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- نشأة علم نفس النمو وتطوره.

2 : المقدمة:

عزيزي القارئ:

كثيراً ما تسأل نفسك: لماذا اشتريت كتاباً في علم نفس النمو؟

- وما الذي تتوقع تحقيقه؟

- وإذا تمكنت من تحقيق هدفك بشراء كتاب ما! فهل تشتري كتاباً آخر مماثلاً؟ أو كتاباً في موضوع آخر؟

تساؤلات عديدة يسعى علماء النفس جاهدين للإجابة عن مثل هذه التساؤلات، وتساؤلات أخرى عديدة بهدف معرفة وتحديد طبيعة النمو الإنساني والتغيرات التي تصاحبه عبر دورة حياة الإنسان. ويتبادر إزاء ذلك عدد من الأسئلة الأخرى التي نبحث عن إجابات محددة لها (Binger, 2003).

- ما نمط التغير الذي يطرأ على الإنسان مع نموه؟
- ما التنظيم الذي تتخذه حياة الإنسان في دورة حياته الكلية؟
- ما الخصائص التي يتميز فيها نمو كل مرحلة من مراحل دورة الحياة؟
- ما الذي نتوقعه من الفرد في كل مرحلة من مراحل حياته؟
- ما درجة الاتساق في التغير من مرحلة إلى مرحلة أخرى في حياة الإنسان؟
- ما درجة العمومية والتفرد في الشخصية الإنسانية في حياة الإنسان المختلفة؟
- ما الذي يمكن أن تقدمه للإنسان حتى يفهم مسيرة حياته تجنباً لمشاعر القلق أو الخوف من المستقبل؟
- ما الذي يمكن أن تقدمه دراستنا لنمو سلوك الآخرين في فهم نمونا الذاتي؟
- ما العوامل والقوى والمتغيرات التي تؤثر في النمو الإنساني عبر مدى الحياة؟

■ ما الذي يمكن أن تقدمه دراسة النمو في مواجهة متطلبات الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل؟

3 : موضوع علم نفس النمو:

علم نفس النمو هو أحد فروع علم النفس العام الذي يهتم بدراسة التغيرات التي تطرأ على سلوك الفرد من بدء خلقه وحتى مماته. وهو في ذلك يشترك مع العديد من العلوم الإنسانية والبيولوجية في العديد من القضايا التي تطرح في تلك العلوم مما حدا بالعديد من المنظرين بإطلاق اسم علم النفس الارتقائي أو التطوري للدلالة على الكم الهائل من المعلومات والمعارف التي يزودنا بها هذا العلم والتي يرتبط بشكل أو بآخر مع علم النفس، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجيا وعلم الأجنة، وعلم الوراثة، وعلم الطب.

لقد حاول علماء النفس الوقوف أمام ظاهرة النمو الإنساني والمتغيرات التي ترتبط به ليفرز علماء قائماً بذاته من أجل الإجابة عن كل التساؤلات التي يبحث القارئ إجابات محددة لها.

وينطلق الاهتمام بمراحل تطور الانسان ونموه، خاصة ما يرتبط منها بمراحل الطفولة. من منطلقات عديدة (الفقي، 1995).

● فحب الاطفال والعطف عليهم والشعور بالبشاشة في وجودهم ووجوههم جزء من الطبيعة السوية للكائن الحي. (البعد العاطفي). حيث يعبر هذا الحب عن دافع الامومة والابوة التي تمثل في خد ذاتها دوافع انسانية قوية نبيلة تمتد جذورها الى حب الذات وتأكيدا وتخليدها. كما ترتبط ببقاء النوع واستمراره.

● واكد الدين الاسلامي الحنيف عاطفة حب الاطفال وجعلها سبيلاً الى اشباع دوافع الابوة والامومة وأشار الى ان حب الاولاد من اقوى الدوافع الانسانية (البعد الديني). قال تعالى:

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ . . ﴾ [آل عمران:]، وقال: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف

● ويعتبر الاهتمام بالطفولة في عصرنا الحاضر من أهم المعايير التي يقاس بها تقدم المجتمع وتطوره وتحضره بين غيره من المجتمعات (البعد الاجتماعي الاقتصادي الحضاري). فأطفال اليوم هم شباب الغد وعدته ورجال المستقبل وقادته. ورعاية الاطفال وإعدادهم للمستقبل يمثل حتمية حضارية يفرضها التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر. وان التغير والتطور الاجتماعي نحو الافضل يتوقف على ما يكرسه المجتمع من مؤسسات وبرامج وقوانين من أجل الطفل وتكوينه وبناء شخصيته ايماناً منه بأن مستقبل الامة انما هو في مستقبل اطفالنا.

● إن الاهتمام بمراحل نمو الطفل وبمظاهر هذا النمو وخصائصه ومطالبه في تلك المراحل يعتبر أمراً ضرورياً لسلامة العملية التربوية (البعد التربوي) وسيرها نحو تحقيق اهدافها. ودراسة المعلمين للنمو الانساني تساعدهم بالضرورة على فهم خصائص كل سن واستعداداته وقدراته وتجعلهم أقدر على التعامل معهم وتفسير سلوكهم واختيار انسب الطرق والوسائل لتعليمهم وتربيتهم وتجنبيهم ما يعوق سير نموهم التربوي وتحصيلهم الدراسي.

الفصل الأول

ولا شك بأننا نسعى إلى دراسة علم نفس النمو لسببين اثنين هما: (Hurlock, 1978)

أولاً: الحاجة إلى حل مشكلات الإنسان العملية التطبيقية:

لعل أهم الأسباب التي دعت علماء النفس إلى توجيه اهتماماتهم نحو النمو الإنساني هو الرغبة في حل المشكلات التي يعاني منها الفرد في مرحلة عمرية معينة. فبحوث الطفولة -مثلاً- بدأت في الأصل من أجل التغلب على الصعوبات التربوية والتعليمية التي يواجهها أطفالنا في مدارسهم. وانتقلت البحوث بعدئذ للبحث في طرق تنشئة الأطفال والعوامل المؤثرة بها. ووجهت البحوث أيضاً نحو معرفة ما يتوافر لدى الوليد من استعدادات وقدرات يولد مزودا بها.

ثانياً: الصعوبات المنهجية في دراسة بعض مراحل النمو:

بالرغم من الرغبة الملحة لدى الباحثين في دراسة دورة حياة الإنسان من جميع جوانبها. إلا أن بعض الصعوبات المنهجية قد أعاقت دراسة مراحل النمو الإنساني. خذ مثلاً: بعض الاتجاهات الوالدية في رفض الوالدين تعريض أطفالهم الرضع للبحث العلمي خوفاً عليهم من الأذى. أو محاولات الباحثين الحصول على المعلومات من أبنائهم في مراحل عمرية مختلفة. أو حتى إجراء المقابلات معهم. وربما يصطدم الباحثون بامتناع الأفراد أنفسهم تزويد الباحثين أنفسهم بالمعلومات التي يسعون للحصول عليها.

ان دراستك لعلم نفس النمو تحقق لك ما يلي (الأشول، 1984):

- التعرف على مبادئ وقوانين ومظاهر النمو في المراحل العمرية المختلفة ذات قيمة بالغة. فهي تساعدك على معرفة ما الذي تتوقعه من الطفل ومتى تتوقعه. كما توفر لك تربية طفلك وتوجيهه ورعايته ومتى يمكن استثارة النمو فيه ومتى لا تستثيره. انها بالتالي تهيئ لك الأساس اللازم للتخطيط والتنشيط البيئي الذي ينبغي تقديمه للطفل والتوقيت الصحيح لتنشيط واستثارة النمو. وان الوعي بالنمط النمائي السوي يجعل من الميسور السعي الى تهيئة الطفل مقدماً للتغيرات التي سوف تحدث في جوانب النمو المختلفة: الجسمية والسلوكية.. وغير ذلك. واذا كانت عملية النمو مستمرة متكاملة تسير على نحو متسق بالنسبة لأغلبية الاطفال. فمن الممكن أن نحدد معايير معينة لما يمكن ان نتوقعه في كل مرحلة نمائية.
- يتميز هذا العلم بأنه موضوعي. فهو يقدم لك صورة واضحة المعالم عن ميوله واهدافه كإنسان في مختلف مراحل العمر. كما انه يشرح وسائله الخاصة لتحقيق تلك الاهداف.
- إن دراسة هذا العلم تجعل الانسان عملياً في علاقاته الاجتماعية مع الاخرين. وتنشأ القيم الاخلاقية السلوكية التي تعيش في واقع الناس وتكوينهم.
- يقدم هذا العلم الحقائق التكوينية النفسية التي يستغلها المربون في وضع المناهج واقامة المؤسسات التعليمية وتحديد الطرق التدريسية ووسائلها.

4: أهداف البحث في علم نفس النمو:

- يسعى علم نفس النمو إلى تحقيق هدفين رئيسين هما: (Goodwin & Klausmeier, 2004)
- الوصف الدقيق والكامل للعمليات النفسية لدى الأفراد في مراحل عمرية مختلفة. واكتشاف خصائص التغير الذي يطرأ على هذه العمليات في كل مرحلة عمرية.
- تفسير ظاهرة التغيرات الزمنية للسلوك الإنساني. واكتشاف العوامل والقوى والمتغيرات التي تحدد هذا التغير.

1.4: المقدمة:

لقد تطور اهتمام الباحثين الذين يدرسون طبيعة التغير الإنساني ومعدلات نموه من الجوانب المختلفة للسلوك كافة كالقدرة الحسية والحركية ووظائف الإدراك والذكاء والاستجابات الاجتماعية والانفعالية. وغير ذلك إلى تفسير تلك الظواهر لتتصل بالرعاية والمعاونة والتحكم والتنبؤ والتدخل في التغيرات السلوكية التي تطرأ على الفرد في الجوانب النمائية كافة لديه. وحتى يتحقق لك ذلك، فإن هناك أهدافاً عامة يسعى علم نفس النمو إلى تحقيقها في نهاية المطاف وصولاً إلى المعرفة التي نستطيع بها تفسير العلاقة النظامية بين المتغيرات التي هي بمثابة السلوك في المواقف الحياتية المختلفة والعوامل المؤدية إلى إحداث هذا السلوك ولا يتأتى ذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

إن أهم ما يميز العلم كمنشأ إنساني أنه يهدف إلى كشف العلاقات التي تقوم بين الظواهر المختلفة للنمو الإنساني. وقولنا: إننا نفهم ظاهرة معينة. فإن هذا يعني أننا نجد علاقة تربط بينها وبين الظواهر الأخرى. أما إذا لم نجد أي علاقة لها بأية ظاهرة أخرى فإنها تظل غامضة غير مفهومة أو معروفة. وإذا قلنا مثلاً: إن السبب في سلوك شخص ما على نحو معين هو شعوره بالنقص أو رغبته الشديدة في التفوق. فإننا لا نفيد شيئاً من حيث التفسير إلا إذا ربطنا بين الشعور بالنقص أو الرغبة في التفوق من ناحية وبين متغيرات مستقلة عن الشعور ذاته تعتبر مسؤولة عن هاتين الظاهرتين من ناحية أخرى كظروف التنشئة الاجتماعية في فترة طفولة الشخص نفسه.

من هنا نرى أن الفهم يتم بعملية الربط وإدراك العلاقات بين الظواهر المراد تفسيرها والأحداث التي تلازمها أو تسبقها. وما دمنا نفهم الظاهرة السلوكية، فنحن قادرون على وصف وتفسير تلك الظاهرة وصفاً وتفسيراً ينم عن فهم علمي دقيق لظاهرة السلوك هذه.

2:4. وصف التغيرات السلوكية:

يعبر الوصف عن تقرير الظواهر القابلة للملاحظة وبيان علاقاتها بعضاً ببعض. حيث يقوم المتخصصون في علم نفس النمو بجمع الحقائق عن ظواهر النمو الإنساني للتوصل إلى صورة حقيقية ومتأسكة عنه. مستخدمين في ذلك كل الوسائل والطرق الفنية التي وصل إليها علمهم. مثل: الفحوص الطبية والملاحظة والاختبارات والمقابلات الشخصية والاستخبارات وغير ذلك.

الفصل الأول

ويمثل الوصف خطوة هامة في سبيل تحقيق المعرفة العلمية وتكوين صورة عقلية منظمة ومختصرة عن جانب كبير نسبياً من الوجود.

وبالرغم من أن هدف الوصف هو أبسط أهداف العلم. إلا أنه أكثر أساسية. وبدون وصف ظاهرة النمو والتغيرات السلوكية التي تصاحبه يعجز العلم عن التقدم إلى أهدافه. ان مهمة الوصف الجوهرية بالنسبة للباحث هو ان يتحقق له فهماً أفضل لظاهرة التغير السلوكي موضع البحث. وهو بذلك يسعى للإجابة عن عدد من التساؤلات الهامة مثل:

- متى تبدأ عملية تفسير معينة في الظهور؟
- وما الخطوات التي تسير فيها سواء نحو التحسن او التدهور؟
- وكيف تؤلف العملية النفسية تلك مع غيرها من العمليات النفسية الأخرى. أنماطاً معينة من النمو؟

لاحظ أننا جميعاً نلاحظ تعلق الرضيع بأمه. والأم بدورها تبادل رضيعها هذا الشعور. وسؤالنا هنا:

- متى يبدأ شعور التعلق Attachment في الظهور؟
- وما هي مراحل تطوره؟
- وهل الطفل الذي يتعلق بأمه تعلقاً آمناً يكون أكثر قدرة على الاتصال بالغرباء؟
- أم أن هذه القدرة تكون اكبر لدى الطفل الأقل تعلقاً بأمه؟ (صادق و أبو حطب، 1999).

3:4. تفسير التغيرات السلوكية:

ويسعى علم نفس النمو إلى تفسير الظواهر وجمع الوقائع وتكوين الحقائق والمبادئ العامة التي يمكن فهم التغيرات السلوكية على ضوءها فهماً جيداً نستطيع بها فهم أنفسنا وفهم سلوك الآخرين من الجوانب كافة.

خذ مثلاً: محاولتنا تفسير الانحراف والعلل الاجتماعية التي تحدث في مجتمعنا كالإجرام وانحراف الأحداث والطلاق... الخ وكثيراً ما نتساءل:

- لماذا ترتفع معدلات القلق في العصر الحديث؟
 - وما العوامل التي رفعت من معدلات الاكتئاب في العقدين الأخيرين من هذا القرن؟
- والتفسير المنطقي العقلاني يمثل فرضاً، وهو يمثل بدوره تفسيراً محتملاً للظاهرة موضوع الدراسة.

إن البحث عن أسباب حدوث أي ظاهرة للسلوك هو هدفنا في تفسير ظاهرة التغيرات السلوكية. وهو يعني بالضرورة تعليل الظواهر موضع البحث من خلال الإجابة عن سؤال: لماذا؟ بينما الوصف يجيب عن السؤال: ماذا؟ وكيف؟ وفي تفسير ظاهرة التغيرات السلوكية نتساءل:

- لماذا يتخلف الطفل في المشي؟
- أو يكون أكثر طلاقة في الكلام؟
- أو أكثر قدرة على حل المشكلات المعقدة بتقدمه في العمر؟
- وإلى أي حد ترجع هذه التغيرات إلى "الفطرة" التي تشتمل على الخصائص البيولوجية والعوامل الوراثية. ونضج الجهاز العصبي؟
- أو إلى "الخبر" أي التعلم واستثارة البيئة؟

4:4. التنبؤ بالتغيرات السلوكية:

ونعني به إمكانية انطباق القانون أو القاعدة العامة في مواقف أخرى غير تلك التي نشأ فيها أصلاً. حيث يؤدي تفسير ظاهرة التغير السلوكي لفرد ما إلى إمكان التنبؤ الدقيق بسلوك ذلك الفرد. انك تتنبأ باتساع إنسان العين أو انقباضه بزيادة شدة التنبيه الضوئي الواقع عليه أو إنقاصه. وتنبأ أيضاً بأن شخصاً ما سوف يحالفه النجاح إذا امتحن مهنة التدريس والتي أشارت الاختبارات النفسية على أنه يمتلك القدرات والسمات اللازمة للنجاح فيها. وان طفلاً ما سوف يبدأ الحبو بعد شهر مثلاً. وان أسنانه سوف تبدأ بالظهور. وانه سوف يبدأ النطق... إلى غير ذلك من ظواهر التغير في سلوك الطفل.

4:5. ضبط التغيرات السلوكية والتدخل في مجرياتها:

ونعني به تناول الظروف التي تحدث الظاهرة بشكل يحقق لنا الوصول إلى هدف معين. مما يمكننا من التحكم في ظاهرة النجاح في الكليات. ويحاول عالم نفس النمو التنبؤ بالسلوك على ضوء الظروف المحددة التي تسبقه. ثم يسعى بعد ذلك إلى التدخل في ظاهرة التغيرات السلوكية. التي تحتاج إلى تعديل:

- انك تقوم بتعديل سلوك المريض النفسي بعلاجه.
- وضبط (تعديل) سلوك المراهق الذي يدأب على قضم أظفاره .
- والوالد يسعى لضبط سلوك ولده بإثابته إذا قام بفعل حسن وتهديده بالعقاب إذا اقترف فعلاً قبيحاً.

لا بد لك وأنت تسعى للتنبؤ بالسلوك من أجل ضبطه من أن تدرس مختلف الجوانب لدى الشخص الذي صدر عنه ذلك السلوك. وصولاً إلى معايير للنمو في كل مرحلة من مراحله. (اسماعيل، 1989) فلا يمكن ان يصل العلم لتحقيق هذا الهدف إلا بعد وصف وتفسير دقيقتين لظواهره من خلال تحديد العوامل المؤثرة فيها: وهذه الجوانب تتمثل في الآتي:

- المنبهات البيئية التي قد تسبب السلوك المتعلم.
- الدوافع البيولوجية والاجتماعية للسلوك المتعلم.

الفصل الأول

- إدراك الفرد لبيئته.
- التعلم وتغيير الفرد سلوكه كي يناسب مطالب البيئة الجديدة .
- تذكر الحوادث السابقة ومدى تأثيره في إدراك الموقف .
- طريقة الفرد في التفكير وحل المشكلات.

5 : أهمية البحث في علم نفس النمو:

يمكن النظر إلى أهمية البحث في علم نفس النمو من جانبين رئيسين هما:

1:5. الجانب النظري:

تبرز أهمية علم نفس النفس في إسهامه في بناء المعرفة عن ظاهرة النمو الإنساني. فهو مصدر رئيس للمعارف والحقائق العلمية عن طبيعة النمو الإنساني. والتعرف على مبادئ النمو بالغ الأهمية لأسباب عدة:

■ فدراسة النمو الإنساني يساعدنا على معرفة ما الذي نتوقعه من الطفل ومتى نتوقعه. وإذا لم يتوفر لدينا هذا الشرط في تنشئة الأطفال. ونحن أكثر ميلاً إلى أن نتوقع من الطفل مستويات عالية جداً من السلوك أو منخفضة للغاية في مرحلة عمرية معينة. وكلا هذين النمطين من مستويات التوقع السلوكي ينطوي على آثار بالغة الخطورة في رعاية وتربية وتوجيه الأطفال. وعندما نتوقع من الطفل مستويات أعلى من السلوك. فمن المحتمل أن تنمو في الطفل مشاعر عدم الكفاءة أو عدم الأهلية. وعندما نتوقع أنماطاً سلوكية أقل من المستوى الذي وصله الطفل. فإن ذلك يؤدي إلى خفض حالة الدافعية في الطفل. وبالتالي ينجز بمستوى أقل من قدراته الحقيقية.

■ إن المعرفة بمبادئ وقوانين النمو توفر للكبار والقائمين على تربية ورعاية وتوجيه الطفل. المعرفة اللازمة بمتى يمكن استثارة النمو ومتى لا نستثيره. وهذه المعرفة تهيئ الأساس اللازم للتخطيط للتنشيط البيئي الذي ينبغي تقديمه للطفل. والتوقيت الصحيح لتنشيط واستثارة النمو.

■ إن الوعي بالنمط النمائي السوي يجعل في ميسور الوالدين والمعلمين وغيرهم. من العاملين مع الأطفال أن يسعوا إلى تهيئة الطفل مقدماً للتغيرات التي سوف تحدث في جوانب النمو المختلفة: الجسمية والعقلية والسلوكية والمهارية والميول والاتجاهات.. وغير ذلك.

■ تساعدنا دراسة النمو الإنساني في تحديد معايير معينة يمكن أن نتوقعها في كل مرحلة نمائية. مما يوفر لدينا أعماراً عدة للطفل. مثل: مقاييس عمر الطول، ومقاييس عمر الوزن، ومقاييس عمر التسنين، ومقاييس العمر العقلي، ومقاييس عمر القراءة... وهكذا.

■ إن دراسة النمو تزيد من معرفتنا للطبيعة الإنسانية وعلاقة الإنسان ببيئته التي يعيش بها. وكذلك في معرفة مراحل النمو بمظاهرها المختلفة. والقدرات والعمليات العقلية وشروط عملية التعلم. ومسار النمو السوي وما قد يعثره من اضطراب يتعين علاجه.

2:5. الجانب التطبيقي:

وتتضح أهمية البحث في علم نفس النمو في استثمار تلك الحقائق والمعارف النفسية من قبل هيئات ومؤسسات وأفراد يتعاملون مع الإنسان في مراحل نموه المختلفة مثل: المؤسسات التعليمية، والرعاية الصحية والآباء والمدرسين والمجتمع بصفة عامة وغيرهم. ويتضح ذلك فيما يلي:

1:2:5. بالنسبة للمعلمين:

تتضح أهمية دراسة النمو للمعلمين في مجالات عدة من أبرزها:

- الوقوف على استعدادات المتعلم: فالتخطيط التربوي للتلميذ الفرد. والجماعة ككل. يتطلب المعرفة الوافية لاستعداد التلميذ. فالنمو بطبيعته يتوقف على الاستعداد. والذي أشار إليه كرونباخ Cronbach على انه مجموع خصائص الطفل في الموقف التربوي التي تجعله أكثر احتمالاً لأن يستجيب على هذا النحو دون ذلك. وهذه الخصائص تفسر لنا سرعة وسهولة تقبل بعض التلاميذ لما يلقن لهم من معلومات وعجز البعض الآخر عن الاستجابة لذلك.
- إن دراسة النمو تساعد المعلم على الوقوف على الفروق الفردية بين الأطفال أنفسهم. ذلك أن فهم المعلم للنمو العقلي. والقدرات الخاصة التي يتميز بها. يؤدي به إلى الوصول إلى أفضل طرق التدريس. وهو بذلك يستطيع الأخذ بيد التلميذ الضعيف ويشجعه على التفوق. كما يأخذ بيد المتفوق من اجل مزيد من التفوق والإبداع.

2:2:5. بالنسبة للآباء:

تساعد دراسة النمو الوالدين على معرفة خصائص الأطفال والمراهقين من اجل إعانتهم على النمو السليم وتمهيد الطريق أمامهم في عملية التنشئة الاجتماعية Socialization والتطبيع الاجتماعي لأبنائهم فيستطيعون التحكم في العوامل والمؤثرات المختلفة التي تؤثر في النمو. وتعين الآباء كذلك، على تفهم مراحل النمو والانتقال من مرحلة إلى أخرى بكل ثقة وطمأنينة. كما ان معرفة الآباء للفروق الفردية الشاسعة في معدلات النمو تتيح لهم الفرصة في ان لا يكلفوا الطفل إلا ما في وسعه. ولا يتوقعون منه فوق ما يستطيع. ولا يحملونه ما لا طاقة له به. ويكافئونه على مقدار جهده الذي يبذله. وليس على مقدار قدراته الفطرية.

3:2:5. بالنسبة للعاملين بدور الحضانه ورياض الأطفال:

إن فهم خصائص نمو الأطفال في المراحل العمرية الأولى للنمو الإنساني تساعد العاملين في المؤسسات التعليمية الخاصة بهم. على التخطيط واعداد المناهج التعليمية والأنشطة المرافقة التي تساعد في بناء شخصية الطفل وتطورها بما يتناسب واحتياجاتهم وإنارة الطريق فيما يقدمونه من مواد معرفية ودراسية تتلاءم وأنشطة والعب وحاجات الأطفال واستعداداتهم ومستوى نضجهم.

الفصل الأول

4:2:5. بالنسبة للأخصائيين الاجتماعيين:

إن دراسة مبادئ النمو الإنساني تعين على فهم المشكلات الاجتماعية وثيقة الصلة بتكوين ونمو الشخصية والعوامل المحددة لها. خاصة ما يتعلق منها: بمشكلات الضعف العقلي والتأخر الدراسي، وجناح الأحداث والانحرافات .. وغير ذلك من المشكلات. والعمل على الوقاية منها وعلاج ما يظهر منها. كما تساعد على عمليات ضبط السلوك وتقويمه لدى الأفراد حاضراً ومستقبلاً. من أجل تحقيق مستويات أفضل من التوافق النفسي والتربوي والاجتماعي والمهني. ويحقق الصحة النفسية السليمة للفرد.

5:2:5. بالنسبة لعلماء النفس:

فدراسة النمو الإنساني:

- تساعد الأخصائيين النفسيين في جهودهم من أجل مساعدة الأطفال والمراهقين والراشدين والمسنين في مجال علم النفس العلاجي والتوجيه والإرشاد النفسي والتربوي.
- تعين دراسة قوانين ومبادئ النمو وتحدي معاييره في اكتشاف أي انحراف أو شذوذ في سلوك الفرد. وتتيح معرفة أسباب هذا الانحراف وتحديد طريق علاجه.

6:2:5. بالنسبة للمجتمع:

تفيد دراسة النمو في فهم الفرد ونموه وتطور مظاهر هذا النمو في المراحل المختلفة في تحديد أحسن الشروط الوراثية والبيئية الممكنة التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن. وحتى لا يخطئ في تفسيره تحقيقاً لخير الفرد. وتقدم المجتمع بالإضافة إلى تنمية الاستعدادات واثراء البيئة لزيادة الكفاية الإنتاجية.

6: النمو الإنساني في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى خلق الإنسان ونموه. والتي يمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسين يتصل القسم الأول منها بخلق آدم عليه السلام. وهو من باب الغيب الذي على المسلم أن يؤمن به. بينما يتصل القسم الآخر بخلق الإنسان من سلالة آدم عليه السلام وهي بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

1:6. النمو الإنساني في القرآن الكريم:

1:1:6. الآيات القرآنية الكريمة في تكوين الإنسان:

حدد القرآن الكريم الطريق المادي لوجود الإنسان كنتاج لاتصال الذكر بالأنثى (يستثنى من ذلك خلق آدم عليه السلام من دون أب وأم، وخلق حواء من أب دون أم، وخلق عيسى عليه السلام من أم دون أب. فخلق هؤلاء جميعاً هو من باب الغيب الذي يجب على المسلم الإيمان به). وفي ذلك قول الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن خلق الإنسان هو من جزء من الذكر (الحيوان المنوي) وجزء آخر من الأنثى (البويضة الأنثوية) وفي ذلك قوله تعالى:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران].

كما حدد القرآن الكريم المادة التي يخلق منها الإنسان نتيجة الاتصال الجنسي. بقوله تعالى:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة].

وحدد القرآن الكريم خصائص المنى الذكري بأنه سائل سهل التدفق. بقوله تعالى:

﴿الَّذِي يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْتَنَى﴾ [القيامة]

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة].

وحدد القرآن الكريم الموضوع الذي يخرج منه بقوله تعالى:

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق].

وأشار القرآن الكريم إلى النطفة باعتبارها المادة التي يتم منها هذا التكون وقد تكون النطفة مذكرة (ماء الرجل) أو مؤنثة (ماء المرأة) بقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس].

وأشار القرآن الكريم إلى اندماج النطفة المذكرة (الحيوان المنوي) والنطفة المؤنثة (البويضة الأنثوية) ليتكون من بعض كل منهما نطفة جديدة مخصبة يسميها علم الأجنة باللاقحة أو الزيجوت ووردت في القرآن الكريم كلمة الأمشاج لتعني الأخلاط الناتجة عن امتزاج ماء الرجل بماء المرأة بقوله تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

وحدد القرآن الكريم موضع النطفة الأمشاج أو اللاقحة في رحم الأم. وهو القرار المكين. بقوله

تعالى:

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۖ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات].

ويشير الباحثون هنا إلى أن للقرار المكين ثلاث معان هي:

الفصل الأول

■ رحم المرأة: شريطة ان يفهم معنى الماء المهين أو النطفة في الآيات القرآنية الكريمة السابقة بمعنى البويضة المخصبة. وهي تمثل الطور الأول في تكوين الجنين.

■ مبيضا المرأة: شريطة ان يفهم الماء المهين أو النطفة. بمعنى ماء المرأة في الآيات القرآنية الكريمة. حيث يستقر ماء المرأة (نطفها) في المبيضين منذ الشهر الرابع من حياة المرأة حتى تخرج النطف دورياً من المبيضين مرة كل شهر بعد بلوغها سن النضج الجنسي الذي يمتد عادة ما بين سن التاسعة والسادسة عشرة من عمرها.

■ الحويصلة المنوية عند الرجل: شريطة ان يفهم معنى الماء المهين أو النطفة بمعنى ماء الرجل في الآيات القرآنية الكريمة. حيث يستقر ماء الرجل الذي تفرزه الخصيتان بصورة دائمة منذ بلوغه سن النضج الجنسي في الحويصلة المنوية (جسم بشكل خزان مركزه في أسفل المثانة عند الرجل يتجمع فيه السائل المنوي الذي تفرزه الخصيتان). ويخرج منها وقت الاستمنا.

2:1:6. الآيات القرآنية الكريمة في نمو الإنسان قبل الولادة:

ورد في القرآن الكريم ما يشير بشكل واضح وصريح إلى أن نمو الإنسان بعد تكوينه من المادة الأساسية التي يخلق منها. يمر بمراحل يتطور بعضها من بعض ويتلو بعضها بعضاً. قال تعالى:

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۚ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح].

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [الزمر].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُنَبِّئَ لَكُمْ وَنُنَقِرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج].

أولاً: مرحلة النطفة:

ورد في القرآن الكريم ذكر النطفة في ثلاث معان هي:

■ النطفة المذكورة.

■ النطفة المؤنثة.

■ النطفة الأمشاج: وهي تشير إلى النطفة المختلطة من الحيوان المنوي والبويضة عندما يتم الإخصاب. والتي تمثل بدورها المرحلة الأولى في تكوين الجنين ونموه وتطوره.

قال تعالى:

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ ۝۱۸ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۗ ۝۱۹ ﴾ [عبس].

ونشير هنا إلى أن مورجان أحد علماء الأجنة والوراثة قد أثبت أن الجينات تنتقل عبر الحيوان المنوي الذكر والأنثوي. وورد في القرآن الكريم الى ان الذكورة والأنوثة في الجنين. إنما تكون تابعة لماء الرجل. قال تعالى:

﴿ وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّجُلَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۗ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم] ، ﴿ أَلَيْسَ الْبَشَرُ لِقَابِ رَبِّكَ نُطْفَةً ۗ مِنْ مِمِّي مَبْنِي ۗ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسُوَّىٰ ۗ فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [القيامة] .

ثانياً: مرحلة العلقه:

ورد ذكر العلقه في القرآن الكريم في خمسة مواضع مر ذكرها فيما سبق. ويشير علماء الأجنة إلى أن مرحلة العلقه تمثل الفترة التي تعلق فيها الكرة الجرثومية بجدار الأم وتنتهي بظهور الكتل البدنية.

ثالثاً: مرحلة المضغه:

وقد ورد ذكر المضغه في القرآن الكريم في موضعين اثنين ورد ذكرهما في الآيات المشار إليها سابقاً. وتمثل المضغه المرحلة التي يشبه فيها الجنين في مظهره لقمة ممضوغة. وتظهر فيها بالفعل ما يشبه آثار أسنان مغروزة. وهذه المضغه قد تكون مخلقة أو غير مخلقة.

رابعاً: مرحلة تكوين العظام والعضلات:

وفي هذه المرحلة تبدأ الخلايا العظمية في التكوين. وتحل محل الخلايا الغضروفية التي كانت موجودة من قبل. كما يتم تكوين العضلات (اللحم) التي تحيط بعظام الجسم وتساعد على حركتها. قال تعالى:

﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴾ [المؤمنون] .

خامساً: مرحلة تكوين الطفل السوي (التسوية):

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ . . . ﴾ [المؤمنون] .

ويشير العلماء في هذا الصدد إلى أن المقصود من الخلق الآخر، نفخ الروح في الجنين بحيث يتحرك ويصير له سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب. قال تعالى:

﴿ ثُمَّ سَوَّيْنَاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَا لَكُمْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة] .

3:1:6. الآيات القرآنية الكريمة في نمو الإنسان بعد الولادة:

ورد في القرآن الكريم المراحل التي يمر بها نمو الانسان بعد الولادة. وقد أشار العلماء إلى الإعجاز البديع في أن القرآن الكريم لا يفصل بين مرحلتي ما قبل الولادة وما بعدها. وانما يربط بين المرحلتين برباط وثيق. قال تعالى:

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا . . . ﴾ [الأحقاف] .

وحدد القرآن الكريم الحد الأقصى لفترة الرضاعة حتى الفصال (الفطام) بعامين. قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِضْلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان] .

الفصل الأول

كما حدد القرآن الكريم مراحل النمو الإنساني بعد الولادة بثلاث مراحل كبرى. بقوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم]

وتمثل المراحل الكبرى الثلاثة للنمو الإنساني ما يلي:

أولاً: مرحلة الضعف للإنسان:

وهي مرحلة الطفولة. وقد وصفها القرآن الكريم بأنها مرحلة الضعف. قال تعالى:

﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج]. ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [غافر].

ويميز القرآن الكريم في هذه المرحلة بين أربعة أطوار فرعية هي:

(أ) الرضاعة: ومدتها القصوى عامان.

(ب) الطفل غير المستأنن (غير المميز للعورة):

وتمتد من الفصال (الطعام) وحتى سن الاستئذان (التمييز المبكر للعورة). قال تعالى:

﴿ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ ﴾ [النور]

. وقد فسر القرطبي الآية القرآنية الكريمة بالأطفال الذين لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع لصغرهم.

(ج) الاستئذان المقيد (التمييز):

وهي المرحلة التي يعقل فيها الطفل معاني الكشف والعورة ونحوها. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النور].

(د) الاستئذان المطلق (بلوغ الحلم):

تتحدد في هذه المرحلة مستويات قريبة من مستويات الكبار حيث الاستئذان على وجه الإطلاق

وليس لفترات محددة كما في الآية السابقة. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَفْذِنُوا كَمَا اسْتَفْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور]

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور].

ثانياً: مرحلة القوة للإنسان:

وهي مرحلة التحول إلى الرشد. وقد وصفها القرآن الكريم بالقوة في ثلاثة أطوار هي:

(أ) بلوغ السعي:

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ [الصافات].

ويشير القرطبي إلى السعي ببلوغ الإنسان المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمر دنياه معيناً له على أماله.

(ب) بلوغ الرشد:

قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾ [النساء].

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة إشارة إلى أن الرشد يعني الاهتداء إلى ضبط الأموال (باعتباره المؤشر الأساس للنضج الاجتماعي) وحسن التصرف فيها والصلاح وسداد الرأي.

(ج) بلوغ الرشد (اكتمال الرشد):

بلوغ الرشد هو بلوغ القوة. يقال: بلغ أشده أي قوته في البدن. وربما تكون في المعرفة بالتجربة. ويرى كل من صادق وأبو حطب (1999) أن كلمة الأشد تعني البلوغ على إطلاقه وهو هنا البلوغ الجنسي والجسمي والعقلي وهو معنى الرشد. قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الانعام].

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الاحقاف]

ثالثاً: مرحلة الضعف الثانية والشبية للإنسان:

تشير هذه المرحلة إلى مرحلة الضعف الإنساني بعد مرحلة الرشد. وهو ضعف يختلف عن مرحلة الضعف الأول (الطفولة). وقد أضاف القرآن الكريم إلى هذه المرحلة وصف الشبية لتحمل معنى الخبرة والحكمة إلى جانب التقدم في السن. وتقسم هذه المرحلة إلى طورين اثنين هما:

(أ) مرحلة الشيخوخة:

قال تعالى: ﴿... ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشْدَكُكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا سُيُوحًا...﴾ [غافر]

(ب) مرحلة أرذل العمر (الهرم):

قال تعالى: ﴿... وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج].

وقد ورد في القرآن الكريم شواهد كثيرة على خصائص مرحلة الضعف والشبية. ومن ذلك قوله تعالى في تحديد المعالم الجسمية الرئيسة للمرحلة. وهي:

الفصل الأول

(1) وهن العظام وشيبة الرأس. قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم]

(2) وخاصة انقطاع خصوبة المرأة والرجل، قال تعالى:

﴿ قَالَتْ يَوْتَلَيْتُءِالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود].

(3) وانتكاس الخصائص النفسية والجسمية المختلفة إلى مراحل سابقة. وخاصة عند أولئك

الذين يبلغون من العمر أرذله. قال تعالى:

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور].

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ . . . ﴾ [يس].

(4) وفقدان القدرة على العلم (أو نقص القدرة على التعلم) وخاصة عند المعمرين الذين يبلغون

مرحلة الهرم أو أرذل العمر. قال تعالى:

﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ العُمرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [الحج].

وقد نبه القرآن الكريم إلى ان هذه المرحلة فيها اعتماد جديد. كما كان الحال في مرحلة الطفولة والصبأ. إلا أن الاعتماد في مرحلة الضعف الأولى كان على الوالدين. إما الاعتماد في مرحلة الضعف الثاني فلا مناص من أن يكون على الأبناء. ومعنى ذلك أن هذه المرحلة هي اقرب إلى رد دين الأبناء إلى الوالدين. قال تعالى:

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحدهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ ﴾ [الإسراء].

﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة]

2:6. النمو الإنساني في السنة النبوية الشريفة:

تشتمل السنة النبوية الشريفة ما روي عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وتقارير تمثل السلوك العملي والممارسة الفعلية لمبادئ الإسلام كما حددها القرآن الكريم.

1:2:6. في مرحلة ما قبل الولادة:

حدد الحديث النبوي الشريف طبيعة النطفة الذكرية بقوله: «ما من كل الماء يولد الولد» أخرجه مسلم. ومعنى ذلك أن الجنين يتكون من جزء يسير من المنى.

وحدد الحديث النبوي الشريف طبيعة المضغة المخلقة وغير المخلقة بقوله عليه السلام: يا رب مخلقة أو غير مخلقة، فإن قال: غير مخلقة مجتهدا الأرحام دماً. وان قيل: مخلقة قال: أي رب شقي أم سعيد؟ ما الأجل؟ وبأي أرض يموت؟ " رواه عبد الله بن مسعود وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره.

وأخرج مسلم في مسنده أن رسول الله ﷺ قال لليهودي الذي سأله: من أي شيء يخلق الإنسان؟ "يا يهودي: من كل يخلق، من نطفة الرجل ونطفة المرأة"

وجاء في الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "وكل الله بالرحم ملكاً يقول: أي رب نطفة؟ أي رب مضغة؟ فإذا أراد الله يقضي خلقاً قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ في الرزق، في الأجل، فيكتب كذلك في بطن أمه".

2:2:6. في مراحل النمو بعد الولادة:

حدد الحديث النبوي الشريف مراحل النمو ما بعد الولادة. فقد ورد في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: "الغلام يعق عنه (أي تدبج عنه العقيقة) يوم السابع. ويسمى، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه. ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة".

وحدد الحديث النبوي الشريف سن التمييز. وهو الأمر بالصلاة. فقد روي عن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: "مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع".

وحدد الرسول الكريم طرق معاملة الوالدين للأبناء ومنها:

■ حسن أدب الطفل وحسن اختيار اسمه. بقوله عليه السلام: "من الولد على الوالد ان يحسن أدبه ويحسن اسمه" أخرجه البيهقي.

■ الرحمة والرأفة بالصغير: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قال: نعم، قالوا: لئنا ما نقبل. فقال ﷺ: أو أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟ متفق عليه.

وحدد الحديث النبوي الشريف حقوق الوالدين على الولد بقوله عليه السلام: "لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكاً فيشترين فيعتقه". أخرجه مسلم. وقوله أيضاً: بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله". وقوله أيضاً: "بر أمك وأباك وأختك وأخاك. ثم أدناك فأدناك" أخرجه النسائي وأحمد والحاكم.

3:2:6. في الوراثة والبيئة:

أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى أن الوراثة تتحدد مع تكون الجنين. بقوله عليه السلام: "إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم". أخرجه ابن جرير.

وروي عن الرسول ﷺ قوله: "خيروا نطفكم فان العرق دساس" أخرجه ابن ماجه والديلمي. وقوله: ﷺ: "إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء" أخرجه الدارقطني.

الفصل الأول

ويروى أن رجلاً من الأنصار أقبل على الرسول ﷺ فقال له: يا رسول الله هذه بنت عمي وأنا فلان حتى عد عشرة من آبائه. وهي ابنة فلان حتى عد عشرة من آبائها. وليس في حسبي ولا في حسبها حبشي. وأنها وضعت هذا الحبشي. فأطرق النبي ثم رفع رأسه وقال: "إن بك تسعة وتسعين عرقاً ولها تسعة وتسعون عرقاً. فإذا اشتملت اضطربت العروق. وسأل الله عز وجل أن كل عرق منها أن يذهب الشبه إليه، قم فإنه ولدك. ولم يأتك إلا من عرق منك أو عرق منها:."

وفي حديث عن أبي هريرة قال: "جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ فقال: ولدت امرأتي غلاماً أسود وهو يعرض بأن ينفيه. فقال رسول الله ﷺ: هل لك من أبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال هل فيها من أروق (أسمر أو ما كان لونه كلون الرماد)؟ قال: إن فيها ثورقاً. قال: فأنى أتانا ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزع عرق. قال: فهذا عسى أن يكون نزع عرق. ولم يرخص له في الانتقاء منه." متفق عليه عند البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة والدارقطني. ويقول الرسول الكريم ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه."

7: النمو الإنساني عبر العصور:

لقد اهتم الإنسان منذ أقدم العصور بملاحظة السلوك الإنساني ونموه وتطوره وحاول تفسيره والتنبؤ به. وتمتد مفاهيم النمو الإنساني بأصوله إلى التصور الديني والتأمل الفلسفي والخبرة الشخصية للإنسان. ويمكن النظر إلى النمو الإنساني عبر العصور من خلال المراحل الرئيسية التالية:

1:7. مرحلة التفكير البدائي: Primitive Thinking

فقد اعتقد المصريون القدماء بوجود كائن صغير خفي يسكن جسم الإنسان ويتحكم فيه، ويسيطر على أعماله ويحركه ويجعله يفكر ويغضب ويتحرك ويتعامل مع الآخرين. وبهذا التفسير، فإن الشخص غير مسؤول عن تصرفاته. وإنما هناك مسؤول آخر عنه. فهذا المخلوق الصغير. يتميز بصفات خاصة: فهو:

- يستطيع أن يخترق أي عائق .
- ولا يعترف بقوانين الحركة أو الاحتكاك أو الصوت.
- له قدرة على أن يتواجد في أي مكان وفي أي وقت يريد.
- له القدرة على أن يتواجد أحياناً في مكانين معاً في آن واحد.
- قد يكون شريراً وقد يكون طيباً.
- أحياناً يترك الجسم ولا يعود إليه ثانية (وهذا ما يفسرونه بظاهرة الموت).

وأظهرت الحضارة المصرية القديمة رعاية واهتماماً كبيرين بالطفل باعتباره كائناً عاجزاً وضعيفاً. وفي حاجة إلى إشباع متطلباته الجسمية من تغذية وحركة. بالإضافة إلى حاجته الاجتماعية للعب.

وتمثل قوانين حمورابي في الحضارة البابلية استبصاراً لا تقل أهمية في حضارات فارس والهند والصين من حيث تضمينها ضرورة المحافظة على الطفل وتنشئته (Bornstien, 2006).

2:7 . مرحلة التفكير الفلسفي: Philosophical Thinking

لقد عالج اليونانيون القدماء موضوع علم النفس ضمن دراستهم للفلسفة، وبالتالي فهم أول من درس علم النفس دراسة منتظمة تستحق أن يكون لها مكان في تاريخ العلم:

فقد اعتبر الكميون: Alcamaen (القرن السادس قبل الميلاد) من مؤسسي علم النفس الأوائل. وأحد المهتمين بالفلسفة. ركز اهتمامه إلى موضوع الإدراك. ويقال: إنه أول من قام بتشريح العين. وتتبع العصب البصري إلى المخ.

وكان انكساجوراس: Anxagoras (428-495 ق.م) يرى أن العالم مكون من أجسام ذرية صغيرة. وأن الأشياء الطبيعية التي توجد في هذا العالم هي خليط من جميع هذه الذرات.

واعتبر امبادوكليس: Empedocles (435-495 ق.م) أول من تحدث في الإدراك الحسي وصاغ نظرية فيه. وقال: إن العناصر الأساسية التي تتكون منها الأشياء الموجودة في العالم أربعة هي: التراب والهواء والماء والنار. اعتقد أن الجسم كله يشترك في كل نشاط جسمي أو عقلي. وقال: إن الدم هو مركز الذكاء.

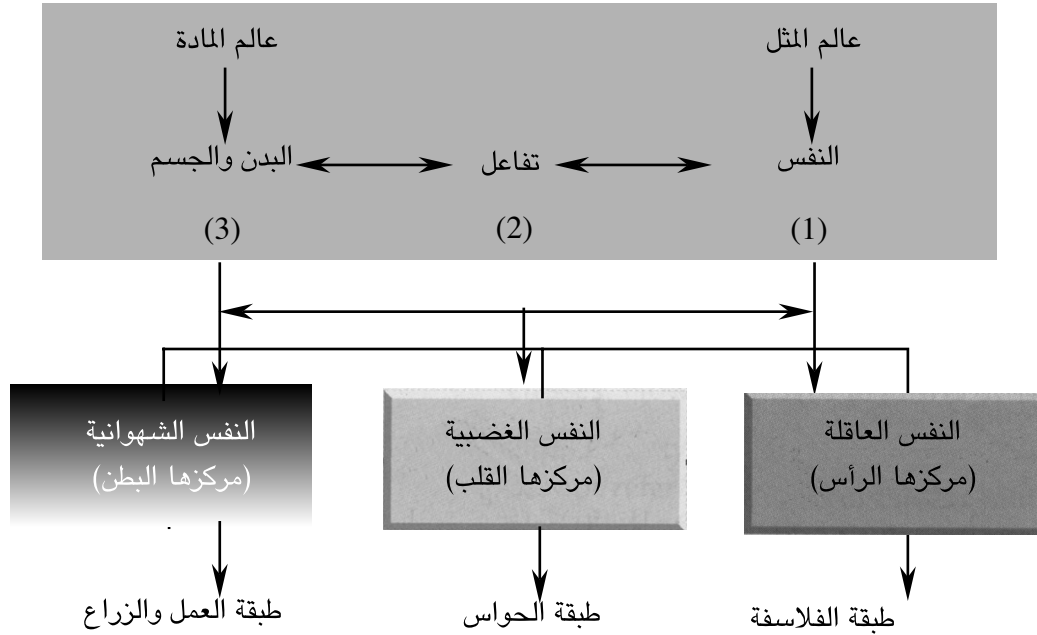
أما السفسطائي اليوناني بروتاجوراس: Protagoras (411-481 ق.م) (يعني مصطلح السفسطائية المعلم الأستاذ) فقد ذهب إلى أن تكوين الإنسان إنما يرجع إلى الحواس المختلفة. قال: إن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً. وأن الإدراك نتيجة حركة قوتين كل منها باتجاه الأخرى. فالحركة الأولى هي حركة الشيء المدرك. أما الحركة الثانية: فهي حركة الحاسة المدركة. وهذا يعني أن الإدراك هو نتاج تلاؤم بين الشخص المدرك والشيء المدرك. ويشترط لحصول الإدراك توافر هذين العنصرين.

أما سقراط: (399-470 ق.م) : الفيلسوف الأثيني أول الثلاثة الكبار في الفلسفة اليونانية. اتبع منهج التأمل والتحليل الذاتي Speculation (الدريني، 1983) وكان يريان المعرفة الحقة توجد داخل الشخص. ومن ثم على من يريد أن يعرف الحقيقة أن يناقش نفسه ويحاسبها على دوافعها. وهو صاحب القول المشهور: اعرف نفسك. سجل أفلاطون آراءه في محاوراته الشهيرة، واشتهر بأساليبه التعليمية المتمثلة في التوليد السقراطي. ويقال: إن مناقشاته الفلسفية في الأسواق أنزل الفلسفة اليونانية من السماء إلى الأرض. أي من الاهتمام بالطبيعة والعالم إلى الاهتمام بالإنسان.

الفصل الأول

أما أفلاطون: (427-347 ق. م) : الفيلسوف الأثيني الشهير: تلميذ سقراط وثاني الثلاثة الكبار في الفلسفة اليونانية. وصاحب الاكتشافات الهامة في علم النفس القديم. اتبع منهج الاستدلال والتفكير المجرد. صاغ نظريات عديدة في موضوعات نفسية مختلفة. أسس معهداً تعليمياً وجامعة عظيمة في أثينا عام 387 ق. م.

كتب العديد من المحاورات وألف كتابه الذي أسماه: جمهورية أفلاطون. اعتقد أفلاطون بوجود عالمين: عالم المثل الذي يتكون من المعاني ومنه تتكون النفس، وعالم الحس، أو العالم المادي ومنه يتكون البدن أو الجسم. وعندما تهبط النفس من عالم المثل إلى العالم المادي لتحل الجسم ينشأ منها نفوس ثلاث تميز ثلاث طبقات من الناس يوضحها الشكل رقم: (1:1)



شكل رقم: (1:1)

قال: إنَّ النفس سابقة على الجسم لأنها وجدت قبله وسوف تستمر بعده. وهي خالدة لأنها كانت تعيش في عالم من الأفكار والمثل. وهناك خبرت الكثير من الحقائق الخالدة. ثم اقتربت أحد الأخطاء. فطردت من عالم المثل وبدأت تنتقل من جسم لآخر. تأثر بفكرة تناسخ الأرواح والتي ترى أن النفس تحل بعد موت شخص معين في جسد شخص آخر.

تحدث أفلاطون عن النفس (وهي مفهوم فلسفي يقابل ما يسمى في علم النفس الحديث الشخصية) وقال: إنَّ للنفس ثلاثة أقسام هي: النفس العاقلة ومركزها الرأس، والنفس الغضبية ومركزها القلب، والنفس الشهوانية ومركزها البطن. وتظهر الشهوات (وهي الرغبات والانفعالات) في الإنسان عند ميلاده. وتسيطر على حياة الوليد وسنوات طفولته المبكرة. وتبدو على وجه

الخصوص في الحاجات الجسمية والانفعالية للفرد. وتنمو الارادة خلال الطفولة المتأخرة والمراهقة. وتمثل نزوع الشخص وشجاعته وخلقه واعتقاده. ومع النضج يسيطر المكون العقلي للنفس. مشيراً إلى وجود صراع بين هذه الأنفس الثلاثة. وأن الأفراد يختلفون بحسب انسجام هذه النفوس لديهم. فالشخص الذي تسيطر عليه النفس العاقلة أقرب إلى الكمال. وأفضل من الشخص الذي تسيطر عليه النفس الغضبية أو الشهوانية. كما أوضح العلاقة بين النفس والجسم قائلاً: " النفس بالنسبة للجسم كالربان بالنسبة للسفينة يقودها وسط العواصف حتى يصل بها إلى غايتها ومع ذلك فإن لكل منها طبيعة خاصة وكل منها مستقل عن الآخر." قال أفلاطون: " الجسم سجن للنفس، وأنا تتوق للحرية منه، وإن أفضل طريق لذلك التحرر هو التوصل إلى المعرفة لتحقيق الحرية والسعادة. وهذا كله لا يتأتى إلا بسيطرة النفس العاقلة على الإنسان".

لاحظ كيف صور لنا أفلاطون المكونات الثلاثة للنفس الإنسانية في أسطورة العربة التي يشبه فيها النفس بعربة يجرها جوادان ويقودها سائق. وأن أحد هذين الجوادين عريق الأصل سلس القيادة (الإرادة). بينما الجواد الآخر رديء الطبع جامح غضوب عصي (الرغبة أو الشهوة) وسائق العربة هو العقل الذي يقود السلوك الإنساني ومكونيه الآخرين اللذين يزودانه بالقوة والطاقة.

تحدث أفلاطون في كتابه "الجمهورية" عن تحديد المهام التي يسمح للطفل القيام بها لمصلحة الدولة في ضوء إمكاناته الفطرية. وتربيته تبعاً لذلك. فمعظم الناس عند أفلاطون تحكمهم الشهوات والعواطف. وبالتالي، يجب تدريبهم على أن يصبحوا عمالاً. وبعضهم تسيطر عليه الإرادة والنزوع ولهذا يجب عليهم خدمة الأمة كجنود. أما الأقلية التي يسيطر عليها العقل فهم ساسة المجتمع وفلاسفته.

وعليه، فقد قسم أفلاطون الناس إلى أنواع ثلاث هي:

- الحكام: وهم الفلاسفة حيث يحكمون الجند والعمال ويتميز الفلاسفة بالنفس العاقلة. وهم يستطيعون -بواسطة الدراسة وتنمية الفكر وشحذه- الوصول إلى المعرفة الحقيقية لأن قدرتهم الفطرية على التفكير والاستدلال أفضل منها عند غيرهم وهؤلاء قلة. ولهذا أسند إليهم الحكم .
- الجند أو الحراس والمحاربون: وهؤلاء تسيطر عليهم النفس الغضبية. ولذلك أسند إليهم مهمة الحرب أو الدفاع عن الوطن.

■ عامة الناس: وهم العمال. وتسيطر عليهم النفس الشهوانية ويستطيعون القيام بالأعمال اليدوية والحرف العادية. وليس في مقدورهم التوصل إلى شجاعة الجند وقدرتهم في الحرب. كما ليس في مقدوره التوصل إلى حكمة الفلاسفة وقدرتهم على التفكير (Carson, et al, 2000).

وكان لأرسطو: (322-384 ق.م) -الأثيني ثالث الثلاثة الكبار وتلميذ أفلاطون وفيلسوف اليونان الأكبر. أكبر فيلسوف في تاريخ الفكر الإنساني- بعض الاشارات في النمو الانساني. اهتم برعاية نمو فردية الطفل. وأكد على اهمية الاسرة كعامل مؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية (Hadfield, 1992) كان يرى ان الحياة تنشأ في الاغلب عن طريق المادة والصورة. فالمادة هي عضو التأنيث والصورة عضو التذكير وهو يدل على الكمال والعقل. في حين ان عضو التأنيث يدل على النقص

الفصل الأول

والانفعال.. ويتم التكاثر باجتماع عضو التذكير مع عضو التأنيث بحسب احوال الكائنات الحية. فاذا كان فعل عضو التذكير كاملاً تاماً فالمولود ذكر. وان كان ناقصاً فالمولود انثى.

يرى أرسطو ان جوهر الطبيعة البشرية ليس "مثلاً" محددة مقدما بالفطرة. وانما هي طبيعة محددة أساساً بالخبرة. وعني أرسطو بدراسة الاحساسات المختلفة. وكيفية حدوثها. وأثر المؤثرات الخارجية في إحداثها. وبذل جهداً كبيراً في بيان طبيعة كل حس من الاحساسات الخمسة وهي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس. فالعقل عند أرسطو يتألف من الاحساسات الاساسية التي تتربط معا بقوانين التداوي. وبذلك فإن ارسطو يعتبر أول من عبر عن الفكرة الحديثة القائلة: إن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء. وفي هذا المجال. فقد وحد ارسطو بين العقل والجسم. أما خبرات الإنسان (وخاصة ملاحظاته الدقيقة) فهي تعين على توضيح الحقيقة. وليس تشويهاها أو سوء عرضها.

لقد قدمت الحضارة اليونانية القديمة كماً هائلاً من المعرفة الإنسانية خاصة ما يتعلق منها بعلم النفس ضمن بعدين تميزت بهما تلك الحضارة. فأنتجت أثينا الديمقراطية عمالقة الفكر الإنساني من أمثال: سقراط وأفلاطون وأرسطو. وأفرزت بالمقابل إسبرطة الدكتاتورية ممارسة عملية لتنشئة الطفل وتربيته يكمن من ورائها تصور معين للطبيعة البشرية .

وتتلخص تنشئة الطفل لدى الإسبارطيين في أن الطفل عقب ولادته مباشرة يعرض على مجلس الحكماء الذي يتولى فحصه لتحديد مدى قوته وصحته وصلاحيته للبقاء في المدينة. فإذا كان الطفل ضعيفاً أو معوقاً يؤخذ إلى البرية ويترك فيها ليموت (وفي هذا، بذور فكرة البقاء للأصلح التي أشاعتها نظرية التطور في القرن التاسع عشر). أما الطفل السعيد. فهو الذي يعلن المجلس أنه صحيح، وعندئذ يتعرض لبرنامج من التدريب القاسي لتقويته وتدريبه للمهنة الشاقة؛ وهي خدمة الدولة العسكرية. وفي هذا التدريب (الذي يشمل حمامات الماء البارد في عز الشتاء القارس) لا يسمح للطفل بالصراخ لأنه علامة على ضعف الخلق. وفي سن السابعة يؤخذ الطفل من منزل أسرته ويعيش في معسكرات عامة. ويتعرض في حياته الجديدة لنظام أكثر قسوة ومشقة.

وحتى يكتسب الطفل صفات النظام والصلابة العقلية. كان قادة هذه المعسكرات يستخدمون أساليب العقاب الديني العنيف والحرمان من الطعام لأيام عدة. وطوال حياة الأطفال في هذه المعسكرات والتي تستمر لأكثر من عشر سنوات يغلب على تربيتهم الاهتمام بالجانب الجسمي على حساب النواحي العقلية والوجدانية.

وفي سن الثامنة عشرة وحتى سن العشرين يتدرب الشاب تدريباً مباشراً على العمل العسكري وفنون القتال. ثم يلتحق بصفوف الجيش ويظل فيه لمدة عشر سنوات أخرى في حياة أكثر خشونة وقسوة. وفي سن الثلاثين يتم الاعتراف للفرد بحقوق المواطنة الكاملة. وعندئذ يمكنه ان يتزوج وأن يسهم في إدارة المدينة.

ولم يعترف الإسبارطيون بالفروق بين الجنسين. إلا أن تدريب البنات على المهام الشاقة لم يتطلب التحاقهم بمعسكرات. وانما كان يتم في ساحات المدينة العامة بإشراف الأمهات. أما الهدف في الحالتين فكان واحداً. وهو إعداد الذكور الأقوياء جسماً للدفاع عن الدولة. وإعداد ألانا القوياء جسماً لإنجاب الأطفال الأقوياء للقيام بالمهام نفسها.

3:7. النمو الإنساني في العصور الوسطى (العلماء المسلمون):

تأثر العلماء المسلمون بفلسفة الإغريق إلى حد كبير أمثال: أفلاطون وأرسطو. وأضافوا الكثير إليها. وأثروا بدورهم في الفلسفات الغربية بعد ذلك:

فقد كتب الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، توفي سنة 364) في ميزان العقل، واللذة، والأوهام، والحركات والعشق، وكتب في النفس وفي الطب الروحاني.

واهتم الفارابي (أبو نصر الفارابي توفي سنة 399) بالدراسات النفسية، وكتب في المدينة الفاضلة، شرح مقالة الإسكندر في النفس، وتحدث عن الشخصية، والأسس النفسية للجماعة والحاجات الأساسية وأحدث كتابه: "العقل" أثراً واضحاً في الفلسفة المسيحية.

وكتب مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد مسكويه: 325-421م) أبحاثاً في علم النفس مثل: الفوز الأكبر، والفوز الأصغر وتهذيب الأخلاق وتجارب الأمم، وفي الأخلاق والتربية، أهتم بتربية الأطفال وتعلمهم وتحليلهم بالفضائل الأخلاقية والكمال النفسي. دعا إلى تحلي طالب العلم بالفضائل الأربع الكبرى المتمثلة في كل من: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة.

واهتم ابن سينا (أبو علي الحسن بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا: 370-438م): بعلم النفس اهتماماً عظيماً وبحث في جوانبه المختلفة مستفيداً من آراء أرسطو ومن آراء الفلاسفة اليونانيين خاصة ما يتعلق منها بالدراسات الطبية والتشريحية (Carson, et al, 2000)

اعتقد ابن سينا أن علم النفس جزء من علم الطبيعة، وهو ينقسم في رأيه إلى قسمين رئيسيين هما:

■ علم النفس الميتافيزيقا (علم ما وراء الطبيعة): الذي يشتمل على إثبات وجود النفس وماهيتها وعلاقتها بالجسم وخلودها.

■ علم النفس الطبيعي: الذي يشتمل على البحث في القوى النفسية المختلفة، أو ما يسمى بنظرية الإدراك الحسي.

اتبع ابن سينا في دراساته النفسية المنهج التحليلي في دراساته. فحلل الوظائف النفسية تحليلاً دقيقاً، وصنفها، تصنيفاً شاملاً. كما اتبع المنهج التركيبي، فجعل الوظائف النفسية في ترتيب متصاعد أدنى مرتبة فيها الإدراك الحسي، وأعلى مرتبة فيها الوظائف النفسية الفطرية. وقد أثرت آراء ابن سينا في أفكار الفلاسفة اللاتينيين طوال القرون الوسطى وما زالت بعض أفكاره تلتقي مع أفكار علماء النفس المحدثين: فوظائف التخيل حددها ابن سينا بوظيفتين هما: الاستعادة والابتكار وشرح الوصيلتين الرئيسيتين اللتين يسلكهما التخيل في عملية الابتكار وهما التفريق والجمع.

الفصل الأول

ركز الغزالي على تربية الطفل، فكتب رسالة مطولة في ذلك إلى أحد تلامذته بعنوان: "أيها الولد" يجيب فيها عن تساؤلات اشتملت على النصح والإرشاد والحث على العلم والعمل وكل ما من شأنه رضا الله عز وجل. وأكد على ضرورة تعليم الطفل العادات الحسنة مبكراً حيث يقول: "الصبي عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل الى كل ما يحال إليه". ألف الغزالي العديد من الكتب من أهمها: مقاصد الفلاسفة، التهافت، المنقذ من الضلال، معارج القدس في مدارج معرفة النفس. إحياء علوم الدين: وقد تناول في هذا الكتاب موضوع السلوك وضروبه المختلفة حيث يرى أن السلوك ليس ألياً، بل هو سلوك حيوي يهدف إلى تحقيق غرض معين. وأن السلوك الإنساني هو المرآة التي تعكس بصدق ماهية النفس البشرية وما يعترئها من انفعالات وعوامل وميول واستعدادات وقدرات عامة وخاصة. مدركاً بذلك وجود الفروق الفردية بين الأفراد.

وتناول ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون : 732-808) العالم التربوي والنفسي والاجتماعي في مقدمته الشهيرة: "مقدمة ابن خلدون" آراء عديدة تناولت الكثير من الموضوعات التربوية والنفسية والاجتماعية. واضعاً بذلك نظرية في التعليم، أكد فيها على ضرورة اعتماد الأمثلة الحسية لتفهم الصورة الفكرية للدرس. ومتفقاً بذلك مع النظريات التربوية والنفسية الحديثة والتي تؤكد على الوسائل التعليمية وأهميتها في نجاح تفهم مادة الدرس. وتحدث عن العقل البشري مشيراً فيه بأنه بحدود ذاته غير قادر على الإحاطة بأكثر من علم خاصة وأن مراتب العقل الإنساني تتفاوت على حد قوله بين البشر قوة وضعفاً. ومؤكداً على مبدأ النسبية، حيث يقول: "إن الحوادث في عالم الكائنات لا بد لها من أسباب تسبقها." كما تحدث عن التأثيرات البيئية في المجتمع. فيقول: "إنها تنقل المجتمع من حال إلى حال حسب الظروف الاجتماعية".

لقد تأثرت الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية بحيث أن فلاسفة الإسلام نسجوا على غرار فلاسفة اليونان. ولقد حاولت الفلسفة الإسلامية التوفيق بين الإسلام وبين التراث اليوناني. وبذلك فالفلسفة الإسلامية شبيهة بالفلسفة اليونانية من كونها فلسفة عقلية. لأن معظم الفلاسفة المسلمين يعتقدون أن العقل قادر على إدراك الحقيقة. وأن النفس الإنسانية قادرة على تجريد ماهيات الموجودات من اللواحق الحسية ومن الصور المتخيلة.

إلا أن الفلسفتين الإسلامية واليونانية قد اختلفتا من نظرة كل منها للفلسفة. فبينما ينظر الفيلسوف المسلم إلى العالم والإنسان نظرة دينية من منظور الإسلام فإن الفيلسوف اليوناني ينظر إلى العالم على أنه بناء جامد يخضع لآلهة وثنية.

لقد نظم الفلاسفة المسلمون ما اقتبسوه من الفلسفة اليونانية نظماً منسقاً فيه تجديد وابتكار. فنقلوا التراث اليوناني إلى اللغة العربية واستمر ذلك زهاء ثلاثة قرون وقام بحركة الترجمة هذه عدد كبير من المترجمين المسلمين من مثل: ابن ماسويه وحنين بن اسحق بن لوفا البعلبكي واسحق بن حنين وغير هؤلاء كثير.

4:7. النمو الإنساني في العصور الوسطى في أوروبا:

تعتبر فترة العصور الوسطى في أوروبا فترة تجاهل كامل فيما يخص النمو الإنساني. بالنظر لطبيعة النظام السياسي الاجتماعي الاقتصادي الذي ساد في تلك الفترة من الزمن وهو النظام الإقطاعي، وسيطرة الأمية الكاملة، وعد الاعتراف بوجود أي حاجات خاصة بالأطفال والمراهقين. واهتمام ضئيل بفضل العقل على النحو الذي كان موجوداً في الفلسفة اليونانية من ناحية وعند علماء المسلمين من ناحية أخرى. إلا أن بعض الفلاسفة المسيحيين مثل: توماس الأكويني وأغسطس أظهر اهتماماً غير مباشر بالنمو الإنساني وأشار إلى أن هذا النمو يجب ان يسير في طريق محدد وهو طريق التربية الدينية الصارمة للتغلب على الخطيئة الأصلية التي وقع فيها آدم عليه السلام. وقد ارتبطت وجهة النظر هذه بخرافة سيطرت على الفكر السيكولوجي في ذلك الوقت. مفادها انه يوجد في الحيوان المنوي قبل الإخصاب شخص صغير مون تكويناً كاملاً يسمى الراشد الصغير Homunculus. وظل هذا الأمر كذلك حتى تغيرت هذه الاتجاهات تماماً في أوروبا مع بداية عصر النهضة. (صادق و أبو حطب، 1999).

5:7. النمو الإنساني في العصر الحديث :

تطور علم نفس النمو تطوراً كبيراً في العصر الحديث. وظهرت اتجاهات عديدة أفرزت علم النفس كعلم قائم بذاته. وقد خضع علم النفس في بدايات تكوينه الجيني لمؤثرات فلسفية وأخرى فيزيولوجية. فاعتبرت الخطوة الأولى التي تلمسها العلماء من أجل بناء علم جديد للمعرفة الإنسانية.

وشهدت أوروبا إحياء للنزعة الإنسانية في الفترة ما بين نهاية العصور الوسطى في القرن الخامس عشر والقرن الثامن عشر والتي سميت بعد ذلك بعصر النهضة Renaissance ازدهرت على أثرها الثقافة والأدب في معظم الأقطار الأوروبية في وقت بدأ فيه العالم الإسلامي سني التخلف والتدهور. وظهر اهتمام واضح بالفروق الفردية والنمو الإنساني تحدث عنه أموس كومينوس Comenius في أواخر القرن السادس عشر، ولخصه في أربع مراحل نمائية تتفق مع المتطلبات التربوية لكل مرحلة:

■ مرحلة الإدراك: وتمتد من الولادة حتى سن 6 سنوات.

■ مرحلة الحيل: وتمتد من سن 6 وحتى سن 12 سنة.

■ مرحلة التعقل أو الاستدلال: وتمتد من سن 12 سنة وحتى سن 18 سنة.

■ مرحلة الطموح: وتمتد من سن 18 سنة وحتى سن 24 سنة.

وطرح الفيلسوف الإنجليزي جون لوك أفكاره الفلسفية حول الأمبريقية وهي اتجاه فلسفي ترى ان الحواس وليس العقل هي المصدر الوحيد للمعرفة.

الفصل الأول

وطرح الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت بالمقابل مذهبه العقلي الذي يرى فيه ان العقل وليست الحواس هو مصدر المعرفة.

نتيجة للتناقض الواضح في وجهتي كل من جون لوك John Locke وديكارت حول مصدر المعرفة. فقد ساد الاتجاه الامبريقي الذي نادى به لوك وتطورت في إطاره جميع العلوم الإنسانية واصبح المفهوم الأرسطي القديم العقل كصفحة بيضاء (Tableau Rasa) نموذجاً للعقل الإنساني. واعتبر النمو عملية متدرجة تراكمية ناتجة عن التعلم المكتسب من الخبرات المختلفة. وبرزت إزاء ذلك الفروق بين الطفل والراشد. (Wade & Tavis, 2009) ، كما نادى لوك بضرورة دراسة الطفل وذلك لتكوين عادات جديدة له تتماشى مع القيم الاجتماعية لجماعته.

نشر كومينيوس Comenius في عام 1657 كتابه العالم في صور. جمع فيه صوراً واشكالاً ورسوماً لدراسة الطفل في ذاته كطفل. وأكد أن للطفل شخصيته النفسية المتميزة وليس رجلاً صغيراً.

وسادت روح الحرية والاعتراف بقدرات الإنسان أنحاء أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. مما حدا بالمنظرين إطلاق اسم عصر التنوير على تلك الحقبة الزمنية. وظهرت فيها كتابات دينية تهتم بطرق معاملة الإنسان في مراحل نموه المختلفة. بحيث أفرزت هذه الكتابات أربع مراحل نمائية اعتماداً على تحليل المهام المتوقعة في كل مرحلة: (Thomas, 1999)

■ مرحلة الرضاعة: تمتد من الولادة وحتى سن 1.5-2 سنة. وتتميز بالاعتماد الكامل على الكبار في إشباع حاجاتهم الجسمية.

■ مرحلة الطفولة المبكرة: تمتد من 1.5-2 وحتى 5-7 سنوات. وتتميز بظهور نشاط الحركة والكلام وسيطرة اللعب عند الطفل.

■ مرحلة الطفولة المتأخرة: تمتد من سن 5-7 وحتى سن 11-14 سنة وتتميز بالاندماج في الأعمال المفيدة بالمنزل أو دخول المدرسة إذا كان ذلك ممكناً. ويظهر اختلاف في الخصائص التي يتميز بها كل من البنات اللواتي يلجأن إلى تعلم الأعمال المنزلية. بينما يتجه الذكور نحو القيام بالعمل في الحقل أو المتجر أو المنزل.

■ مرحلة الشباب: تمتد من سن: 11-14 سنة وحتى سن: 18-21 سنة وتتميز بالاستقلال الاقتصادي للشباب.

إلا أن مظاهر الاختلاف في اتجاهات الفلاسفة والعلماء نحو الأطفال قد برزت بشكل واضح وتركزت خلافاتهم حول ثلاث مسائل رئيسة هي:

- هل الطفل خير أم شرير بالفطرة؟
- هل تحرك الطفل دوافعه وغرائزه الفطرية أم انه نتاج البيئة؟
- هل الطفل مخلوق سلبي تشكله الأسرة والمدرسة وغيرهما من المؤسسات الاجتماعية أم انه يشارك في عملية تشكيل شخصيته بشكل إيجابي؟

وبرز إزاء ذلك جان جاك روسو Rousseau الذي نادى بأهمية اعطاء الطفل حريته ليفصح بذلك عن ميوله الطبيعية ودوافعه الفطرية. وأشار إلى أن الأطفال هم أختيار بطبيعتهم ما لم تفسدهم شرور المجتمع والبيئة. ونشر روايته الشهيرة "اميل" عام 1762 التي أوضح فيها آراءه الفلسفية والسيكولوجية محدداً جوانب النمو الإنساني بأربعة جوانب جسمية وعقلية واجتماعية وأخلاقية تمتد من الميلاد وحتى سن 25 سنة وتنقسم إلى أربع مراحل نمائية تمتد من الرضاعة وحتى مرحلة المراهقة. دون ان يحدد بدقة مرحلة الرشد التي تمثل بالنسبة له النضج الروحي للفرد وهذه المراحل هي:

- **مرحلة الرضاعة:** تمتد من الميلاد وحتى سن سنتين من العمر. وتمثل المرحلة الحرجة للنمو الجسمي ونمو الحواس وسيطرة المشاعر الحيوانية باللذة والألم. واعتماد الطفل على الرضاعة الطبيعية من أمه.
 - **مرحلة الطفولة:** تمتد من سن: 2-12 سنة. وهي المرحلة التي ينتقل فيها الطفل من مرحلة المشاعر الحيوانية إلى مرحلة "الوحشي النبيل" Noble Savage كما يسميها روسو. حيث يتعلم الطفل فيها القراءة والكتابة وتنمية القوة الجسمية والنشاط الحركي وتخزين المعلومات.
 - **مرحلة البلوغ:** تمتد من سن: 12-15 سنة. وفي هذه المرحلة يسير النشاط العقلي وكذلك الاستطلاع والاستكشاف على الفرد.
 - **مرحلة المراهقة:** تمتد من سن: 15-25 سنة. وتتميز هذه المرحلة بنمو السلوك الاجتماعي والحس الأخلاقي الحقيقي ونمو الوظائف الجنسية.
- ومع نهاية القرن الثامن عشر. برز عدد من الفلاسفة والعلماء في أوروبا الذين وجهوا انتباههم نحو النمو الإنساني.
- فقدم نيكولاس تيتنس Tetens (1736-1807) نظرية مبدئية في النمو الإنساني تهتم بالفروق الفردية للأفراد في النواحي الجسمية والنفسية مدى الحياة.
- واعتبر جون هنري بستالوتزي Pestalozzi (1746-1827) أعظم مصدر للأفكار حول تربية الأطفال معطياً أهمية خاصة للحدس الحسي ومؤكداً على مبدئين رئيسيين هما:
- ينبغي أن تتمشى التربية في معناها وأهدافها ومنهجها وأساليبها مع طبيعة الطفل وحاجاته ومع خصائص نموه ومع القوانين الطبيعية لنموه.
 - تعتبر التربية ركيزة أساسية في اصلاح المجتمع وتغيير أحواله.
- وسجل فردريك أوجست كاروس Carus (1770 - 1808) بعض انطباعاته حول مراحل النمو مدى الحياة واهتم بشكل خاص بالفروق الفردية بين الجنسين. واختلاف الثقافات حول النمو الإنساني. وقدمت ماريا منتسوري عدداً من الافتراضات النظرية لنموذجها في تربية الطفل اشتملت على الآتي:

الفصل الأول

- الضغط والشدة يعيقان التعلم التلقائي.
 - للألعاب دور تهذيبي في استثارة انتباه الطفل.
 - اعطاء الطفل الحرية يساعده على العمل والتفكير حسب قدراته وميوله وحاجاته.
 - يمكن ارشاد الطفل وتوجيهه الى خطئه ومراقبته اثناء أدائه من اجل استمرار نموه وزيادة تلقائيته.
 - تربية الطفل تربية استقلالية تساعد في تطوير شخصيته وتقوده الى الاعتماد على نفسه.
 - يمكن تربية وتهذيب حواس الطفل باستخدام الأدوات المتنوعة المشوقة.
 - التعليم الفردي هو التعليم الذي يحقق ذاتية الطفل ويساعد على نموه المعرفي.
 - تربية الحواس تطور نمو التربية العلمية عند الطفل .
 - الاطفال يريدون كل ما يفعلون.
 - ما يمارسه الاطفال لا يعتمد على ثواب يتلقاه من الاخرين. ولا يكف بعقاب يحدد به الاخرون وانما يتحكم فيه حريته ونشاطه وتفكيره ونموه والمرحلة التي يمر بها.
- ويعد عالم الفلك والرياضيات أدولف كيتيليه (1874 - 1796) **Quetelet** أول من أحيا دراسة النمو على أسس علمية. وأجرى بحثاً مستعرضاً تناول فيه النمو الإنساني في دورة حياة كاملة من الطفولة إلى الشيخوخة مستخدماً في ذلك الإجراءات المنهجية والإحصائية. واشتملت على موضوعات عديدة مثل: الانتحار والجريمة والجناح والمرض العقلي والابتكار بالإضافة إلى بعض الخصائص الجسمية الأخرى. منوهاً في الوقت نفسه إلى الحاجة لبحوث طويلة تتبعية ومراعاة الاختلافات في الجنس والثقافة والبيئة الجغرافية.
- واصدر تشارلز داروين (1809 - 1882) **Darwin** كتابه الشهير "أصل الأنواع" عام 1859 صاغ فيه نظريته الشهيرة في التطور والتي أثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الغربي الحديث خاصة حين اعتبر الإنسان فيها جزءاً من الطبيعة الحيوانية. وأنه الصورة الأرقى من صور الحياة ابتداء من الكائنات أحادية الخلية. وفي عام 1877 نشر داروين مقالاً عن النمو المبكر لطفله الرضيع. أوضح فيه أهمية النمو الفردي في فهم التطور الإنساني.
- ونشر مندل **Mendel** أبحاثاً حول قوانين الوراثة مما فتح آفاقاً جديدة في دراسة التكوين النفسي عند الانسان.
- وقدم فرنسيس جالتون (1822 - 1916) **Galton** اسهاماً كبيراً في استخدام الاسلوب العلمي في دراسة الفروق الفردية معتمداً على الملاحظة المنظمة والاختبارات النفسية والاساليب الاحصائية في دراساته.
- وركز ستانلي هول (1844 - 1924) **Hall** على طبيعة تفكير الطفل مشيراً إلى أن فهم الأطفال للعالم المحيط بهم يتزايد بسرعة فائقة خلال مرحلة الطفولة المبكرة وأن طريقة الطفل في الاستدلال تبتعد كثيراً عن القواعد التي يحددها المنطق الصوري.

ونشر برير Preyer كتابه "عقل الطفل" عام 1882 شرح فيه الافعال المنعكسة للطفولة عند الميلاد وتفاعل تلك الافعال بمراحل النمو الانساني.

وفي أوائل القرن العشرين خطا هذا العلم خطوات واسعة في تطور الدراسات التتبعية الخاصة بالنمو. وبرز علماء عديدون كما برز العديد من الدراسات حول مختلف جوانب النمو لدى الفرد.

وكما تلاحظ، فإنه نتيجة جهود متواصلة من عدد كبير من العلماء والفلاسفة أسهموا جميعاً في تطور علم النفس وعلم نفس النمو عن طريق خلق اتجاه جديد في دراسة النمو الإنساني وسبر أغواره، كما أسهم فيه الفيزيولوجيون باكتشافاتهم المتعددة عن الجملة العصبية والدماغ، ومحاولات العلماء تطبيق الفيزياء الجديدة على فهم السلوك الإنساني. وربط الفكر السيكولوجي بالتطورات الجديدة السريعة في علم الفيزياء. فكانت التجريبية الاتجاه العام للعلم في القرن السابع عشر حيث ارتبط هذا الاتجاه بالملاحظة التي تميزت بكل من: عدم ثقة بالماضي، والرغبة في التجديد، والاتجاه نحو تلمس التحرر من الافتراضات القبلية الفلسفية، وكذلك اتجاه يولي ثقة أكبر لما حققته العلوم الفيزيائية والفيزيولوجية من تقدم. كما شهد التطور الفلسفي بعض التصورات التي حاولت تفسير التكوين العقلي للفرد وما يرتبط به من سلوك فظهرت في تلك الفترة نظرية الملكات ⁽¹⁾ التي ترجع الى الحركة المدرسية الفلسفية في العصور الوسطى وخاصة الى سانت أوغسطين وتوماس أكويناس وظلت سائدة حتى أواخر القرن التاسع عشر. وبذلك، حقق الفيزيولوجيون الأوائل خطوات هائلة تقدموا بها نحو فهم الميكانيزمات العصبية التي تكمن وراء العمليات العقلية. وقد اختلف العلماء فيما بينهم حول تأثير الفيزيولوجيا في علم النفس.



شكل رقم: 2:1

وليم فونت Wilhem Wundt

وبينما أشار ماركس وميليكس (Marx, 1998) إلى أن الفيزيولوجيا قد لعبت دوراً مباشراً ضئيلاً للغاية. كان ولهام فونت أول من أسس مختبراً لعلم النفس فسمي بأبي علم النفس التجريبي بالرغم من أن إسهاماته في علم النفس الفيزيولوجي التجريبي كانت ضئيلة. وقد أشار ماركس إلى أن الفيزيولوجية كانت الملاذ الذي يتوسل إليه للإفصاح عن إمكانية الاحترام العلمي لعلم النفس عامة ولنظريات معينة بشكل خاص.

(1) سيكولوجية الملكات: تمثل موقفاً فلسفياً مناقضاً للمدرسة الترابطية من أوجه كثيرة:

- فهي تصف الفرد على أنه يتكون من عدد من الملكات الفطرية التي تؤلف عقله.
- عدد هذه الملكات يقرب من ثلاثين ملكة مثل: الذاكرة، التخيل، الحكم، الانتباه، الإرادة.. الخ.
- تزعم هذه النظرية أن الفروق في التكوين العقلي منذ الميلاد هي العوامل الأكثر أهمية في تحديد السلوك العقلي.
- أن هذه الملكات ترتبط ارتباطاً مباشراً بحجم أجزاء معينة من الدماغ فإذا تحسنت نتوءات الرأس يكون الجزء الأكثر بروزاً هو الأكثر نمواً.

وقد انعكست هذه النظرية على التربية بشكل واضح وسميت بنظرية التدريب الشكلي التي ترى أنه يمكن تدريب أي ملكة بصرف النظر عن طبيعة المادة المستخدمة في ذلك التدريب .

مراجع الفصل الاول

- اسماعيل، محمد عماد الدين (2010) : الطفل من الحمل الى الرشد ، الاردن: دار الفكر
- الاشول، عادل عز الدين (1984) : علم نفس النمو، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،
- الدريني، حسين عبد العزيز (1983): المدخل الى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي.
- صادق، أمال، وابو حطب، فؤاد (1999): نمو الانسان: من مرحلة الجنين الى مرحلة المسنين، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الفقي، حامد عبد العزيز (1995): دراسات في سيكولوجية النمو، الكويت: دار القلم.
- Binger, J. J.:(2003) **Human development: A life - span approach**. New York: MacMillan.
- Bornstien, M. H., & Lamb, M. E.(2006) .Developmental psychology. Hillsdale: Lawrence Erlbaum & Assoc.
- Carson, C. C., et al.:(2000). **Abnormal psychology and modern life**.(11th ed). Boston: Allyn and Bacon.
- Goodwin, H. L., & Klausmeier, H. J.:(2004) . **Facilitating student learning: An introduction to educational psychology**. New York: Harber & Row publishers.
- Hadfield, J. A.:(1992) . **Childhood and Adolescence**. London: Pelican.
- Hurlock, E. B.:(1978). **Child development** (6th ed) New York: McGraw - Hill Book Company.
- Marx, A. W.:(1998) **Introduction to Psychology: Problems procedures and principles**. New York: McMillan Pub. Co. Inc. ;
- Thomas, R. M.:(1999), **Comparing Theories of child development**. Belmont: Wadsworth.
- Wade,C., & Tavis, C.:(2009) . **Psychology** . New York: Harper Collins college publishers.